وخرج وتركها فنسي نعله في الدار وهذا ما كان من امر الملك واما ما كان من امر فيروز
فانه لما خرج وسار تفقد الكتاب فلم يجده في راسه فرجع الى داره فوافق وصوله خروج الملك
من داره فوجد نعل الملك في الدار فطاش عقله وعلم ان الملك لم يرسله في هذه السفرة الا لامر
يفعله به فسكت ولم يبد كلاما واخذ كتاب الملك وسار الى حاجة الملك فقضاها وعاد
الى الملك فدفع اليه مائة دينار فمضى فيروز الى السوق واشترى ما يليق بالنساء وهيأ
هدية حسنة واتى الى زوجته فسلم عليها وقال لها قومي الى زيارة بيت ابيك قالت وما
ذاك قال ان الملك انعم علينا واريد تظهري ذلك قالت حبا وكرامة ثم قامت من ساعتها
وتوجهت الى بيت ابيها ففرحوا بها وبما جاءت به معها واقامت عند اهلها مدة شهر فلم
يذكرها زوجها ولا الم بها فاتى اليه اخو زوجته وقال له يا فيروز اما ان تعرفنا
سبب غضبك واما ان نحاكمك الى الملك فقال ان شئتم الحكم فافعلوا فما تركت لها
علي حقا فطلبوه الى الملك فاتى معهم وكان القاضي اذ ذاك عند الملك جالسا الى جانبه
فقال اخو الصبية ايد الله مولانا قاضي القضاة اني اجرت هذا الغلام بستانا سالم
الحيطان ببئر معين عامر واشجارها مثمرة فاكل ثمره وهدم حيطانه واخرب بئره
فالتفت القاضي الى فيروز وقال ما تقول يا غلام فقال فيروز ايها القاضي قد سلمت
اليه البستان احسن ما كان فقال له القاضي هل سلم اليك البستان كما كان قال
نعم ولكن اريد منه ما السبب لرده قال القاضي ما قولك قال والله ما رددت
البستان كرها فيه وانما جئت يوما من الايام فوجدت فيه اثر الاسد فخفت ان
يغتالني فحرمت دخول البستان اكراما للاسد قال وكان الملك متكيا فاستوى
جالسا وقال يا فيروز ارجع الى بستانك امنا مطمئنا فوالله ما رايت مثل بستانك
ولا اشد احترازا من حائطه على شجره قال فرجع فيروز الى داره ورد زوجته ولم يعلم القاضي
ولا غيره بشيء من ذلك السبب وهذا ما كان منه والله اعلم وهذا كله مما ياتي به
الانسان من غريب الكنايات على سبيل الرمز ومنه ما يجوز المستتر في اشياء من الراحة
في كتمان حاله مع لزوم الصدق ورضى الخصم مما وافق مراده لان في المعاريض مندوحة عن
الكذب كما روي في غزوة بدر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان سائرا باصحابه يقصد بدرا
فلقيه رجل من العرب فقال ممن القوم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من ماء فاخذ ذلك
الرجل يتفكر ويقول من ماء من ماء لينظر اي العرب يقال له ماء فسار النبي صلى الله عليه وسلم
باصحابه لوجهه وكان قصده ان يكتم امره وقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الله عز وجل فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق وكما روي عن ابي بكر
الصديق رضي الله عنه انه قال للكافر الذي ساله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقت

وقت ذهابهما الى الغار هو رجل يهديني السبيل وقد صدق رسول الله صلى الله عليه
وسلم لقد هداه وهدانا السبيل ولا سبيل اوضح ولا اقوم من الاسلام وكما حكي
عن الشافعي رضي الله عنه لما ساله بعض المعتزلة بحضرة الرشيد ما تقول في القرآن فقال
الشافعي رضي الله عنه اياي تعني قال نعم قال مخلوق فرضي خصمه منه بذلك ولم يرد الشافعي
الا نفسه وكما حكي عن ابن الجوزي رحمه الله انه سئل على المنبر وتحته جماعة من مماليك
الخليفة وخاصته وهم فرقتان قوم سنية وقوم شيعية فقيل له من افضل الخلق بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر او علي فقال افضلهما بعده من كانت ابنته تحته فارضى الفريقين
ولم يرد الا ابا بكر وعائشة رضي الله عنهما وكانت تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم او هي
فاطمة وكانت تحت علي رضي الله عنهما وهذه حيلة منه حسنة وكلمة بينت حقوق الفريقين
منها وسنة

الفصل الثالث في ذكر الفصحاء من الرجال

دخل الحسن بن الفضيل رحمه الله على بعض الخلفاء وعنده كثير من اهل العلم فاحب الحسن ان يتكلم
فزجره وقال اصبي يتكلم في هذا المقام فقال يا امير المؤمنين ان كنت صبيا فلست باصغر
من هدهد سليمان عليه السلام ولا انت باكبر من سليمان حين قال له الهدهد احطت بما لم
تحط به ثم قال الا ترى ان الله تعالى فهم سليمان عليه السلام ولو كان الامر بالكبر لكان
داود عليه السلام اولى ولما افضت الخلافة الى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه اتته الوفود
واذا فيهم وفد الحجاز فنظر الى صغير السن وقد اراد ان يتكلم فقال ليتكلم من هو اسن منك
فانه احق بالكلام منك فقال يا امير المؤمنين لو كان القول كما تقول لكان في مجلسك
هذا من هو احق به منك فقال صدقت فتكلم فقال يا امير المؤمنين انا قدمنا عليك
من بلد نحمد الله الذي من بك علينا ما قدمنا عليك رغبة منا ولا رهبة اما الرغبة
فقد امنا منك في منازلنا واما الرهبة فقد امنا جورك بعدلك فنحن وفد الشكر والسلام
فقال له عمر رضي الله عنه عظني يا غلام فقال يا امير المؤمنين ان ناسا غرهم حلم الله وثناء
الناس عليهم فلا تكن ممن يغره حلم الله وثناء الناس عليه فتزل قدمك وتكون من الذين قال
الله فيهم ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون فنظر عمر رضي الله عنه في سن الغلام
فاذا له اثنتا عشرة سنة فانشد عمر رضي الله عنه يقول

شعر

تعلم فليس المرء يولد عالما ... وليس اخو علم كمن هو جاهل
فان كبير القوم لا علم عنده ... صغير اذا التفت عليه المحافل

وحكي ان البادية قحطت على ايام هشام رحمه الله فقدمت عليه العرب فهابوا
ان يتكلموا وكان فيهم درواس بن حبيب وهو ابن ست عشرة سنة له ذؤابة وعليه شملتان
فوقعت عليه عين هشام فقال لحاجبه ما شاء احد ان يدخل علي الا دخل حتى الصبيان فوثب

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)